

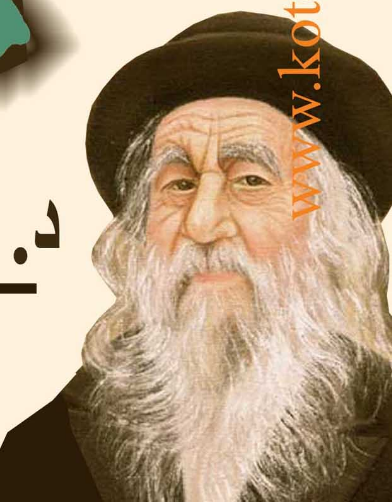
حضارتنا وحضارتهم

تشريح جثة الاستعمار





د. محمد مورو



حضارتنا وحضارتهم

تشريح جثة الاستعمار

د. محمد مورو


الأزهر
الشريف
مكتبة المنارة الأزهرية

بسم الله الرحمن الرحيم



مع صعود الحضارة الأوربية وتفوقها على الكيانات الحضارية والسياسية الأخرى في الثلاثة قرون الأخيرة. انقسم العالم إلى قسمين: عالم المستكبرين – وعالم المستضعفين – ولكل من المعسكرين سماته وخصائصه وتقسيماته أيضا.

وتمخضت الحضارة الغربية عن ثلاثة أنماط تحمل كلها خصائص تلك الحضارة وظلمها واستكبارها – وهي المذهب الحر والفاشية والشيوعية، وعانت البشرية على يد الأنماط الثلاثة التي تمخضت عنها الحضارة الغربية ويلات كبيرة ومظالم متعددة.

ويلاحظ أرنولد توينبي في دراسته لتاريخ الحضارات أن "المنافسة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على زعامة العالم – وبين الشيوعية والمذهب الحر بالتالي على اجتذاب ولاء البشرية – موضوع نزاع عائلي داخل أسرة المجتمع الغربي".

ولعل موريس توريز زعيم الحزب الشـيوعي الفرنسـي وأحد كبار قادة الحركة الشيوعية الدولية وأحد أبرز وجوهها المعدودة قد أكد هذه الحقيقة بقوله: "إن الناس فـي الجزائـر وأفريقيا ليسوا شعوبا بل إنهم لا يزالون في دور التكـوين". أي أن سيطرة الاستعمار الفرنسي عليهم ذات هدف ولا بـد لهؤلاء الناس من أن يعيشوا فترة في أحضـان الاسـتعمار وأن يتربوا على يديه من أجل أن يصيروا شعوبا متحضرة، وهو نفس ما قاله الرئيس الأمريكي روزفلـت عنـدما زار مصر!!

ولقد قامت الحضارة الغربية أصلاً على القهر والتـدمير والاستعمار، وأدت إلى شكل كريه من العلاقات بـين عـالم المستكبرين وعالم المستضعفين. بل حتـى داخـل معسـكر الاستكبار ذاته فإن قيم تلك الحضارة لم تعد قادرة على كـبح جماح نفسها من أذية شعوبها ذاتهـا – بـالتلوث النـووي، وحرب النجوم، وترسانات السلاح الشيطاني الذي إذا خـرج من القمقم فسيدمر الجميع.

والرد الوحيد المتاح هو ظهور أيديولوجية بديلـة تسـتند على قيم قادرة على إنقاذ المستضـعفين مـن المسـتكبرين، وإنقاذ المستكبرين أنفسهم من أنفسهم.

وإذا ما فتشنا عن الثقافات المتاحة في العـالم – نجـد أن الإسلام وحده هو القادر علـى الاسـتجابة وإعطـاء عـالم المستضعفين أيديولوجيته القادرة على المواجهـة والتحريـر والإنقاذ – ويرجع ذلك إلى عدد من الأسباب: أولها أن الثقافة الإسلامية لم تندثر تحت وطأة الحضارة الغربية بل ما زالت قادرة على العطاء – وأنها أيديولوجية عالمية وليست محلية– وأنها ترتبط بصلات وثيقة بكل عالم المستضـعفين، وأنهـا أيديولوجية تمتلك في داخلها حيوية مذهلة.

إن نظرة على العالم تعطينا تقسيمة واضحة لذلك العالم – فهناك عـالم المسـتكبرين – عـالم الحضـارة الغربيـة. أوربا – الولايات المتحدة – الاتحاد السوفيتي. وهي حضارة قامت على أكتاف الطبقـة المتوسـطة وفقـدت سـيطرتها على نفسها في أوربا- وفي أمريكـا قامـت علـى أكتـاف المهاجرين الذين دمروا السكان الأصليين وأبادوهم ثم عادوا وانقسموا إلى مهاجرين أوربيين لهم السيادة ومهاجرين سود

مستضعفين منبوذين – بل إن المهاجرين الأوربيين البيض أنفسهم مارسوا على بعضهم البعض استكبارا وعنفًا وقهرا تمثله الولايات المتحدة ضد سكان أمريكا اللاتينية – وفي الاتحاد السوفيتي ساد الروس الأوربيون ومارسوا قهرا واستكبارا على شعوب الاتحاد السوفيتي الآسيوية.

وفي عالم المستضعفين – نجد كل شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية – والملونين في أوربا وأمريكا – وقد يبدو للبعض أن الصين مثلاً قد اتخذت الطريق الشيوعي الذي هي أمر نتائج الحضارة الغربية – لكن النظرة الفاحصة تؤكد أن الأمر لا يعدو قشرة خارجية ضعيفة ما تلبث أن تنقشع سريعا ليظهر عالم الصين المستضعف الحقيقي والمنحاز إلى معسكر المستضعفين – وقد يبدو للبعض الآخر أن الثقافة الهندية أو الصينية أو الأفريقية قد تكون أيديولوجية صالحة لعالم المستضعفين – إلا أن تلك النظرة قاصرة – فمن ناحية فقد انتهت تلك الحضارات تماما وانقطعت – كما أنها حضارات محلية غير صالحة لمواجهة حضارة عالمية: "الحضارة الأوربية".

وليس أمام عالم المستضعفين إلا طريقان: إما اعتناق الأيديولوجية الإسلامية القادرة على المواجهة وإنقاذ العالم – وإما الخضوع للحضارة الأوربية التي عانى منها عالم المستضعفين آلاما ومآسي أكثر من قدرته على الاحتمال. فضلاً عن أن تلك الحضارة لن تسمح له بحكم قيمها وتركيبها – أن يكون جزءا منها – إن تلك الحضارة التي قامت على الطبقة الوسطى الصناعية، وعلى الاستعمار، وفتح الأسواق – لن تسمح بقيام طبقة متوسطة في عالم المستضعفين تضطلع بمهام الاندماج في تلك الحضارة – لأن ذلك معناه فقدان امتيازات ومكاسب عالم المستكبرين – إن عالم المستكبرين قد رسم طريق الاندماج والالتحاق به عن طريق نخبة مثقفة بثقافة غربية تقوم بمهمة الوكيل والشرطي. الوكيل الذي يصدر الخامات والعبيد، والشرطي الذي يقمع أي محاولة للتصدي للنهب وكشف أساليب الاستكبار. وهكذا ليس عجيبا أن تظل كل بلاد العالم المستضعف محكومة لتلك النخبة المثقفة دون أن تظهر فيها الطبقة المتوسطة الصناعية!!

* * *

إن المفارقة الجديرة بالتسجيل والملاحظـة – أن اليهـود قد عانوا من الاضطهاد والتشريد على يد الحضارة الأوربية في كل بلادها بلا استثناء مما كـان يجعلهـم فـي صـف المستضعفين – إلا أنهم اسـتجابوا للإغـراء الاسـتكباري وانحازوا إليه وأصبحوا جزءا منه – وبدلاً من أن يقفوا ضد جلاديهم – تجمعوا وراحوا يمارسون دور الجلاد نفسه ودور الحليف للاستكبار في العالم – وشردوا شعبا مسلما هو شعب فلسطين، وأقاموا دولة استكبارية عدوانيـة – تقـوم بأقـذر الأدوار خدمة للاستكبار.

* * *

إذًا فليس أمام العالم المستضعف إلا طريق المواجهـة – وليس أمامه من خيار إلا تلك المواجهة تحت رايـة العقيـدة الإسلامية – وإن الواجب التـاريخي يقتضـي مـن الأمـة الإسلامية وطلائعها أن تنهض بهذا العبء، وأن تمد صـلتها وروابطها بكل عالم المستضعفين في الأرض تمهيـدا ليـوم الخلاص والتحرر لعالم المستضعفين من قبضة المسـتكبرين – وإنقاذ المستكبرين من أنفسهم – وإرساء معالم عالم جديـد

تسوده العدالة والحرية والإخاء – عالم ينتهـي منـه الفقـر والجهل والمرض.

والإسلام لم يعرف الركود منذ أن ظهـر وإلـى الآن – ولم ينحصر جغرافيا فالإسلام كدين لم يتوقف عن الانتشـار حتى في الخمسة قرون الأخيرة التي شهدت صـعود نجـم الغرب. في هذه الفترة بالذات انطلق الإسلام إلى أفريقيا فنجد أن أفريقيا اليوم أصبحت نصـف إسـلامية وربمـا تكـون في المستقبل القريب قارة إسلامية بالكامل.

وفي نفس الفترة دخل الإسلام إلى شرق آسـيا واسـتقر في بلدان مثل كوريا والفلبين وتايلاند وسواها حيث لم يكـن موجودا هناك.

وفي التاريخ المعاصر أيضا – دخل الإسلام إلـى قلـب العالم الغربي – إلى أمريكـا ذاتهـا – وانطلاقـة الإسـلام في الولايات المتحدة هي انطلاقة في قلب الغرب – والإسلام هناك اجتماعي – إنه ينتشر بين السجناء الذين كانوا غارقين في المخدرات والموبقات الأخرى – هذه معجـزة الإسـلام الحقيقية تثبت أنه زهرة تنبت في وسط مستنقع.

والإسلام حي لم ولن يموت – إن العثمانيين كادوا يحتلون النمسا في ١٦٨٣ وكادوا يحتلون أوربا بكاملهـا واسـتمروا كإمبراطورية حتى الحرب العالمية الأولى.

وظهرت الخلافة الصوكية في بدايـة القـرن العشـرين في غرب أفريقيا، والإسلام ما زال مؤثرا علـى المسـتوى الثقافي وتـرك بصـمات واضـحة علـى جميـع الهنـود على اختلاف أديانهم.

إذن فالحضارة الإسلامية ما زالت حية وتقدم كل يوم دليلاً جديدا على حيويتها.

* * *

إن العالم منذ صعود الحضارة الغربية يعيش "عنفًا أسود" ففي غضون ٣٠ سنة فقط أبيد حوالي ٢٥ مليونًا من الهنـود الحمر وهو رقم كبير جدا إذا ما علمنا أن في تلك الفترة كان عدد سكان بريطانيا مثلاً هو ثلاثة ملايين نسمة. وقامت تلك الحضارة ذاتها بإبادة حوالي ١٠٠ مليـون أفريقـي كـانوا يموتون من جراء المعاملة السيئة في المراكب ومن جـراء القتل والحرق؛ ومعنى ذلك أن هؤلاء الـ ١٠٠ مليون زنجي

الذين أبيدوا "يعادلون حوالي ١٠٠٠ مليون الآن" كانوا كفيلين بجعل أفريقيا كبرى القارات في العالم.

وفي الجزائر مثلاً – قام الاستعمار الفرنسي بقتل وتهجير مليونين من السكان (كانت الجزائر وقتها ٤ مليون) أي أنهم قتلوا نصف السكان في عملية الاحتلال ثم راحـوا يقتلـون مئات الألوف كل عدة سنوات مع كل انتفاضة.

إن الصورة ما بين قتل الهنود والحمر وإبـادة الزنـوج والعرب إلى جرائم هتلـر وموسـوليني وسـتالين مـرورا على كرومر ونابليون واللنبي وبيجو إلى يومنا هذا – هنـاك خيط واحد متسلسل بمنطق واحد – حلقـة مخلقـة والقنابـل الذرية والحروب العالمية التي انتهت باستخدام القنبلة الذرية ضد اليابان والتي كان عدد القتلى فـي تلـك الحـروب ٦٢ مليونًا من البشر – ثم أفران الغاز وجرائم ستالين المروعـة وصولاً إلى ما فعلوه في بيروت وفلسطين – إنها الحضـارة الغربية؛ حضارة القتل والذبح والتدمير والحروب والقنابـل الذرية والتلوث والإبادة والجوع وإبادة الغابات وإفساد البيئة.

* * *

الحضارة الغربية نمت وظهرت على أساس فكرة خبيثة هي فكر المنفعة اللاأخلاقية – وأدى هذا إلى الاستغلال – السيطرة – الصراع – العنف – القتل.

وتمخضت تلك الحضارة عن إبادة أجناس كاملة مثل الهنود الحمر – وعن استرقاق الزنوج – وعن ظهور طفل خبيث هو الاستعمار الذي هيمن ولم تقف حدود هيمنته إلا عند آخر حدود الأرض من حوله وما زالت هذه الهيمنة قائمة ومستمرة إلى يومنا هذا وإن كانت قد تبدلت وتغيرت وتمخضت تلك الحضارة المريضة عن حروب داخلية وقمع بشعين وحروب عالمية عام ١٩١٤، ١٩٣٩ وذهب في الأخيرة وحدها ستون مليونًا من البشر، وأدت تلك الحضارة إلى ظهور نماذج مثل هتلر وستالين وموسوليني وأدت إلى إعدام الزراعة في كثير من بلدان العالم – خصوصا النامية- وأدت إلى المجاعة التي يموت بسببها سنويا خمسون مليونًا من البشر من ضمنهم خمسة عشر مليون طفل. ومأساة الجوع هذه تتضخم بسرعة هائلة بسبب القضاء على الزراعة وقد بقيت الولايات المتحدة وحدها

القادرة على تصدير الغذاء وهذه لن تبيع الغذاء لك إلا إذا كنت شخصا مرضيا عنه.

وهناك ١٧ مليون هكتار من الغابات يتم القضاء عليها سنويا وهي عنصر التوازن البيئي الأول – ٤٠٪ من الغابة الاستوائية انتهى. وفي ألمانيا ذاتها – الغابة السوداء الشهيرة ستنتهي خلال عشر سنوات كما انتهت بالفعل غابات أخرى في ألمانيا وسويسرا وغيرها – هناك زحف الصحراء. وهناك مأساة التلوث البيئي التي تتكشف أخطارها في كل يوم. هناك ٤١ دولة مفلسة من أصل ١٢٣ دولة لا تستطيع حتى أن تدفع فوائد ديونها وهي شعوب تعيش متسولة أشبه ما تكون بوضع البعير في الماء بالكاد يبقي رأسه فوق الماء للتنفس ولا تموت بسرعة. وهذا الوضع ليس مرشحا للنقصان بل العكس. البنك الدولي نفسه يقول إن ٤١ دولة يمكن أن تصبح مائة دولة.

إن ٣/٤ البشرية اليوم لا يعيش بينما الـ ١/٤ يحظى بكل شيء ويستهلك كيفما يشاء، والأخطر أن هذه النسبة تزداد تضخما فتصبح ٣/٤، ٤/٥، ٥/٦ وهكذا.

هناك الاغتراب بسبب تقسيم مجحف وغير طبيعي للعمل إلى أجزاء صغيرة.

إن فرنسا مثلاً فيها تسعة ملايين كلب، ٨ مليـون قطـة تستهلك ما مجموعه (٣٢٠٠٠) مليار فرنـك قـديم سـنويا بينما ميزانية الصـومال لا تتجـاوز ٤٠٠ مليـون دولار. أي أن كلاب وقطط فرنسا تأكل عشر مرات أكثر مما يأكـل الشعب الصومالي كله.

إن النظام الذي تمخض عن هذه الحضارة ينظم الأزمات متعمدا ويخلقها ويوزعها على الدول الفقيرة والمتخلفة. وهي حلقات مترابطة من إفلاس الدول إلى المجاعة إلـى أزمـة البيئة إلى التصحر. إنها أزمة حضارة كاملة.

* * *

العالم الاشتراكي اليوم – يتحرك باتجاه الالتحاق بالعـالم الرأسمالي – كان من المتصور في أول الأمر أن الماركسية أو الاشتراكية ستبني إنسانًا مختلفًا عن مثيلـه فـي النظـام الرأسمالي وبالذات فيما يتعلق بالاسـتهلاك – لكـن الواقـع أن الأحزاب الشيوعية ذاتها سواء في المجتمعات الشـيوعية

أو غيرها هي التي تقرر بنفسها عامـا بعـد عـام اللحـاق بالمجتمع الغربي – في كل شيء ثم الالتصاق به في النهاية.

كنا نتوقع نوعية أفضل للإنسان الـذي سـيفرزه العـالم الاشتراكي رجلاً مختلفًا وامرأة مختلفة – عنده قيم – ولكـن الذي وقع أن الإنسـان فـي المجتمـع الاشـتراكي مثلـه في المجتمع الرأسمالي يلهث وراء الاستهلاك – وربما أكثر من مثيله – ثم إن الأزمات في داخل العالم الاشتراكي أكثـر من مثيلتها في المجتمع الرأسمالي – حتى إن الحياة عنـدهم لا تطاق. إن كبار رجال الدولة السـوفيتية مـثلاً يعترفـون وبالأرقام والمعلومات الدقيقة والمفصلة – بصورة واضـحة مؤداها أن العالم الاشتراكي يحتوي على نفـس الأمـراض الموجود في العالم الرأسمالي من الرشوة إلى الفسـاد حتـى جهاز العدل.

الاشتراكية ظهرت اليوم على حقيقتهـا – إفـرازا ثانيـا للأرضية الثقافية التي أعطت الإفراز الأول – ومن يتعمـق في التاريخ وفي السوسيولوجيا سيجد أن هذا لم يحدث منـذ سنوات مثلاً ولكن منذ اللحظة الأولى.. إن الثورة الروسـية في اللحظة الأولى وقفت موقف التواطؤ مع البريطانيين ضد

ثورة كوتشك خان الإسـلامية وطحنوهـا معـا. والتخلـي عن العالم الثالث أصبح شـيئًا ملازمـا للطبـع والسياسـة السوفيتية. إن ستالين مثلاً قتل سلطان غاليف وحـاول قتـل المفكر الهندي "روي" لأنهما كانـا يتكلمـان عـن التعـاون مع العالم الثالث.

هذه الأشياء وغيرها هي التي دمجـت النظـامين معـا ثم جاءت يالطا لتكشف كل شـيء علـى حقيقتـه. يالطـا على الأرض ويالطا أخرى في السماء حينما التحمت مركبة الفضاء السوفيتية سويوز مع مركبـة الفضـاء الأمريكيـة أبوللو- أليس هذا تعبيرا عن أشياء أخرى. وأخيـرا هنـاك احتلال أفغانستان. وقبله كان اجتياح المجر وبولندا وغيرها.

الحضارة الغربية أفـرزت إذن عـدة أشـكال سياسـية وأيديولوجية تنتمي لنفس الأرضية وتؤكـد نفـس المنطـق "منطق الربح"، الرأسمال في الغرب بين يدي الأفراد بينمـا هو في الشرق بين أيدي الدولة ولكن الأمر بالنسبة للعمـال لا فرق فيه - نفس المنطق - نفس العلاقة ما بـين العامـل والدولة حيث تقوم علـى المضـاربة علـى جهـد العامـل أي على الربح - إذًا فالسوفييت خلقـوا الدولـة الرأسـمالية

في التاريخ، والحقائق نفسها تقول إن بولنـدا مـثلاً مفلسـة وعليها ٢٥ مليار دولار منها ثمانية مليارات للغـرب والآن وضعت خطة تنموية للإصلاح الغرب هـو الـذي يمولهـا بالدرجة الأولى – والاشتراكية الآن أشبه ما تكـون برجـل مريض والرأسمالية أشبه ما تكـون برجـل يقـدم الـدواء للمريض – فلماذا تدعمها إلى هذا الحد؟!

وهذا الكلام – لرئيس شركة فيات للسيارات الإيطاليـة- الذي يقيم مصانع في الاتحاد السوفيتي. والشركات المتعـددة الجنسيات التي تحكم العالم في الحقيقة والتي تبلـغ ميزانيـة إحداها أكبر من ميزانية دول بالكامل – هي ذاتها التي تدعم الدول الاشتراكية، ولنراجع مثلاً مـا كتبـه رئـيس نقابـة الكيميـائيين فـي العـالم الـذي ألـف كتابـا عنوانـه "كوكاكولا وفودكا" وهو يعطي صورة عن لقاء دائـم بـين مدراء الشركات المتعددة الجنسية ومسئولي الدول الاشتراكية يتفاوضون ويلعبون الجولف ويصيغون حياة واحدة.

إذًا فالاستكبار واحد – وهو نتيجة حتمية للحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي والاشتراكي – انظر مثلاً إلى وزير الدفاع الفرنسي عام ١٩٤٥ -وكان شيوعيا- هو الذي أمر سـلاح

الطيران الفرنسي بقصـف الشـعب الجزائـري، والحـزب الشيوعي الفرنسي بل والجزائري كانـا يحرضـان دومـا على الإبادة في مواجهة الانتفاضات الجزائرية.

* * *

إذن ففكرة الخلاص عن طريق الاشتراكية – وهم – لأنها جزء من معسكر الاستكبار بل إن معسكر الاسـتكبار نفسـه يريد لنا سلاحا مزيفًا حتى يظل جاثما فوق أنفاسنا، إن فكرة الفئة التاريخية "الطبقة العاملة" التي ستقوم بالثورة هي في حد ذاتها جزء من الزيف الاستكباري – فمن ناحية لم يقم العمال كطبقة بالثورة لا في الصين ولا في كوبا ولا فـي الجزائـر وإنما الفلاحون. والعمال الغربيون اقتنعوا باقتسـام المغـانم مع الرأسمالية على حساب الشـعوب المستضـعفة – فـي الجزائر مثلاً كان موقف العمال الفرنسيين استعماريا أكثـر من العسكريين – وكانوا في المعارك أشرس من قاتل الثورة الجزائرية – بـل كانـت آخـر المعـارك معهـم بالـذات في حي "باب الواد" في العاصمة. ومن ناحيـة ثانيـة فـإن العمال كطبقة أصبحت نسبتهم من ٨ – ١٠٪ إذًا فلا قـدرة لهم على الثورة اليوم.

إن كل هذا يؤكد أن المستضعفين من كل المهن عمـال – فلاحون – مهنيون – موظفون هم القادرون علـى الثـورة ووقف مسلسل الظلم والقهر في العالم – ولكن كيف ذلـك – هل بأيديولوجية نابعة من نفس الأرضية الثقافية للاسـتكبار أم بأيديولوجية نابعة من أرض المستضعفين؟! إذًا فلا حـل إلا بالإسلام وبالأيديولوجية الإسلامية.

* * *

والمهمة الأولى التي على طلائـع المسـلمين أن يعوهـا ويقوموا بها هي ضرب وتصفية أي ثقافة فـي داخـل أمـة الإسلام والشعوب المستضـفعة تكـون مصـابة بالانتمـاء العضوي للنظام العالمي الغربي – لابد من إبداع ثقافة خارج إطار الحضارة الغربية. وهذه الثقافة المستقلة هي الإسـلام. انظر مثلاً إلى بعض التشوهات التي ترد إلينا مـن الغـرب وتريد أن تزدهر داخلنا كبـديل أو بـالتوازي مـع الثقافـة الإسلامية أو حتى بالاندماج بها بهدف ظهور جنـين مشـوه قابل للاستمرار والمواجهة.

وإذا كنا قد عرفنا أن الشيوعية والاشتراكية تنبع من نفس الأرضية الثقافية الغربية – فالأمر ذاته ينطبق على القوميـة

عموما – وعلى القومية العربية خصوصا التـي يحـاولون إبرازها بالتوازي مع الإسلام لتشويهها.

إن تأثير الفكر الأوربي في بلورة القومية العربيـة كـان واضحا، إنها ليست أطروحة نابعة من صلب الإسلام – أنها نتيجة مخاض غربي وبتوجيـه غربـي وجـاءت كمقابـل للإسلام– فكانت أولى انزلاقاتها مخاصمة العثمانيين وسـاهم فيها بنشاط المسيحيون العرب ويمكن الآن أن نربط بسـهولة بين ميشيل عفلق والبرسوناليزم في فرنسا، يمكن أن نـربط بين دعاتها وقاداتها والتيارات الغربية بوضـوح وبسـاطة. انظر مثلاً إلى حزب البعث باعتباره الأكبر والأغلب في هذا الإطار – قام هذا الحزب مثلاً بدور مشبوه لفض الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٦١ وكذلك إفشال الوحدة الثلاثية في عـام ١٩٦٣.

وهكذا كان البعث كارثة على العرب ذاتهم – وانظر أيضا حركة القوميين العرب التي ظهرت في الخمسينات وأوائـل الستينات ودعت إلى التعصب القـومي والعنـف الثـوري سرعان ما انهارت وتحجرت الفكرة وتحجرت عند الجانـب الثقافي واتجهت غربا وأصابتها أمراض الغـرب وتحولـت

إلى فرق يسارية. إن القومية العربية ببساطة معناها أن ننعزل كعرب عن باقي المسلمين وعن باقي المستضعفين؛ وهذا معناه خسارة المعركة مع النظام العالمي الشرير، معناه خروج الجزائر والسودان وغيرها لأنها عرقيا ليست عربية مثلاً.

* * *

إذن فقد أصبح من الأمور المعلومة بالضرورة أن النظام العالمي الحالي القائم على الحضارة الغربية هو نظام شريرومجرم ومستكبر، وأن مقاومة ذلك النظام أمر حتمي من أجل خلاص البشرية، وأن التصدي لهذا النظام لا يمكن أن يكون بأدوات من داخله – وأن الإسلام هو الظاهرة الثقافية الوحيدة التي تنبع من خارج هذا النظام وهو وحده القادر على الحشد والتعبئة والمواجهة – أي أنه أيديولوجية المستضعفين – وهذا الأمر ذاته يفجر سؤالاً جديدا حول تقييم الحركة الإسلامية المعاصرة باعتبارها الحامل لهذه الأيديولوجية. وهناك أيضا دول إسلامية تقول إنها تطبق الإسلام أو الشريعة الإسلامية. وهذه الأمور هامة جدا

أن نقيمها حتى لا نقدم بديلاً ناقصـا أو عـاجزا أو مفرطـًا في الجزئية.

إن النظام العالمي – هو منهج متكامل وشرير – وعلينـا أن نقدم منهجا متكاملاً وخيرا – وعلى الحركات الإسـلامية أن تعي هذا، وأن تقدم هذا المنهج وهذه مسـئوليتها عليهـا أن تتعاون في هذا، وأن تقوم بالنقد الذاتي لنفسها، وأن تحاور بعضها بعضا، وعليها أولاً وأخيرا أن تعي أنها طليعة أمـة الإسلام وطليعة المستضعفين.

وفي مصر مثلاً هناك رافدان للحركة الإسلامية عموما – رافد ثوري منهجي مستمد من الأفغاني والنديم، ورافد جزئي ومنعزل مستمد من محمـد عبـده - الأول يـرى طريـق المواجهة مع الغرب، والثاني تلفيقي يرى الاستفادة والالتقاء مع الغرب.

لابد إذن أن نفهـم النظـام العـالمي الحـالي- وننظـر إلى تاريخه – ونرى إمكانات الخروج مـن ربقـة الهيمنـة الدولية وشبكات الاقتصاد والثقافة والقانون وكـل الخيـوط والخطوط التي ينسج بها علاقاته التحكمية الطاغية.

وإذا لم نفعل ذلك فلن نعرف كيف نواجه النظام العالمي السائد – لأنه مؤسسة مترابطة عضويا ويسيطر عليها الغرب منذ خمسة قرون، وهذا النظام تطور الآن إلى التكتلات الكبرى وهذا يطرح قضية الوحدة – فإما الوحدة وإما الموت، لابد من ترجمة صحيحة للإسلام تستوعب تلك المشاكل – يجب أن نجتهد ونجيب على العديد من الأسئلة – كيف نتوحد. كيف نواجه الإمبريالية والعنصرية والصهيونية؟ كيف نجد التنمية البديلة؟ كيف نتفادى المجاعة؟ كيف نحقق ثورة في داخل الحركات الإسلامية وداخل الأمة الإسلامية؟ كيف نستطيع أن نقدم أيديولوجية إسلامية تكون لكل المستضعفين؟ كيف يمكن لشعب من الشعوب غير الإسلامية أن يتبنى النظام الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي؟ كيف تكون فكرة التكافل والتعاون بديلاً عن الصراع والربح؟ وللإسلام تجربة فذة في هذا الإطار؛ حيث كانت ٤/١ الأملاك في العالم الإسلامي موقوفة على أعمال البر والخير مثلاً.

إن هناك الآن عددا من النقاط التي يجب أن تحظى بالاهتمام والبحث: كيف نخرج من النظام العالمي وإقامة بديل ليس للمسلمين وحدهم وإنما من أجل العالم كله؟ كيف

نحقق الوحدة؟ كيف نتقي ضربات النظام العـالمي الشـرير في مرحلة البداية؟ كيف نخرج مـن سـيطرة هـذا النظـام على الغذاء؟ كيف نؤسس بحثًا علميا هدفـه نمـوذج آخـر للتنمية- هدفه الإنسان وليس الرفـاه والاسـتهلاك؟ كيـف نضرب المفهوم الفلسفي الساعي للربح والتجارة والاستغلال والهيمنة؟ كيف سيكون وضع الأقليات؟ وصحيح أن الإسلام في تجربته السابقة كان الأكثر تسامحا إلا أن من حـق تلـك الأقليات أن تعرف وضعها في ظل الأيديولوجية الإسـلامية، ما هو وضع المرأة التي كرمها الله وأعطاها الإسـلام كـل الحقوق – وما هو الضمان لأن لا تظهر نزعـات متخلفـة من داخل الفكر الإسلامي تجاه هذه القضية؟

* * *

استخدمت الحضارة الغربية الشريرة – وما تمخض عنها من نظـام عـالمي ظـالم واسـتعمار وإمبرياليـة –عـددا من التكتيكات الاستعمارية في محاول شل قوى المستضعفين واستمرار السيطرة عليهم – وكان العنف هو السمة السـائدة والأهم في هذا الإطار. كان العنف لكسر صمود وقوة الـذين هبوا للدفاع عن بلادهم – وكان القهر والاسـتبداد السياسـي

والظلم الاقتصادي، وكانت السجون والمعتقلات والمشانق نصيب كل من يفكر أن يتصدى للاستكبار وعملاء الاستكبار. وكانت السمة الثانية بعد العنف والقهر هي التجزئة وضرب كل مقومات الوحدة والتوحيد. وإذا أخذنا العالم الإسلامي كمثال – فقد تم تجزئة الدولة العثمانية إلى دول عدة، وبالنسبة للعرب فقد تم بعثرة بلادهم إلى أجزاء كثيرة.. وقد يتصور البعض أن ذلك حدث بسبب الصراع الفرنسي – البريطاني حيث اقتسم كل منهما أجزاء خاصة به ولكن لو كان الأمر كذلك لأخذت التجزئة العربية الانشطار إلى جزأين كبيرين أو ثلاثة. بينما الذي حدث أن المناطق التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار الواحد جزئت تجزيئًا – فلبنان فصل عن سوريا وكلاهما تحت الانتداب الفرنسي، والأردن فصل عن فلسطين وفصل العراق على حدة – وكذلك دول الخليج ومصر والسودان وكلها كانت تحت نفوذ الاستعمار البريطاني. واستهدف الاستعمار من التجزئة تحقيق الفصل الحضاري والثقافي، وإضعاف تلك الدول، وخلق مشاكل بينها تؤدي إلى صراعات لا نهاية لها وهذا واضح مثلاً في التقسيم بين

لبنان وسوريا، أو بين الأردن والسعودية، أو بـين المغـرب والجزائر، أو بين اليمن الشمالي والجنوبي، أو بـين تركيـا وسوريا، أو بين العراق وإيران، وفي كل الحـالات أبقيـت هنالك مطالب لهذا الجزء بأراضي الجزء الآخر أو المطالبة به كله باعتباره اقتطع من الإقليم المعني - وانتهت خريطـة التجزئة إلى ما نرى الآن أمام أعيننا من عشـرات الـدول؛ فالبلاد العربية وحدها جزئت ليقوم بهـا واحـد وعشـرون أو اثنان وعشرون كيانًا ولم يكن مخطـط التجزئـة ضـمن ما حدث على أرض الواقع فقط - بل كانت هناك مخططات إضافية لم يستطع الاستعمار - لسبب أو لآخـر - تنفيـذها. فعلى سبيل المثال كانت خطة فرنسا تقضي بأن تجزأ سوريا إلى ثلاث دول أو أربع - وكانت هناك خطة لتقسيم المغرب إلى خمس دول على الأقل، وكذلك كان الحال بالنسبة لشـبه الجزيرة العربية - ولعل النموذج الأمثل الذي كان التفتيـت يريد أن يذهب إليه هو ذلك التفتيت الذي نراه فـي الخلـيج الآن. ويعلـق الأسـتاذ منيـر شـفيق فـي كتابـه الهـام "الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر" على هـذه الأمـور قائلاً: (التمزيق شر ممزق، البعثة إلى أشلاء متناثرة، التقطيع

إربا إربا، هذا ما فعله الوحش الغاصب بفريسته التي طالمـا صارع للإيقاع بها وكانت تستعصي عليه – فأعد المخططات للانتقام منها والثأر لهزيمته الكبرى في الحروب الصـليبية، إنها التجزئة المؤدية إلى إقامة الحدود الدولية فيما بين أجزاء الأمة الواحدة، وسن قانون للجنسية في كـل جـزء تمامـا كما هو الحال فيما بـين الـدول القوميـة، وإقامـة دولـة من الطراز الغربي داخل كل جزء بحيث يصبح مع مضـي الأيام جسما غريبا عن أشقائه، وبحيث تتكون داخله مع الأيام أنظمة وقوانين خاصة به، وتنشأ فئات ذات مصلحة في بقاء الكيان وإدامته، ويقوم الاقتصاد ولو مشـوها علـى أسـاس الكيان باعتباره دولة قائمة بـذاتها، وتنشـأ أفكـار وعقليـة ووطنية خاصة بالكيان – ويعبر شعب كـل كيـان تجربـة تاريخية في الصراع مع الاستعمار بعيدا عن مسار أشـقائه، وتنشأ زعاماته وأحزابه وجرائده وحركاته الخاصة به بعيـدا عن مسار أشقائه؛ وبهذا لا يبقى فعل التجزئة عمـلاً قسـريا تفرضه حراب المستعمرين وإنمـا تصـبح واقعـا تكوينيـا موضوعيا له مؤسساته الموضوعية والذاتية وله بناه التحتية والفوقية وما إلى ذلك – وبهذا تنشأ دول ووطنيـات وأمـم

يصبح أقصى الأمنيات معها أن تتضامن وتنسق فيما بينهـا، بل تصـبح أقصـى الأمنيـات ألا تشـتبك مـع بعضـها في صراعات أو حروب؛ وبهذا تصبح الوحدة مسـتحيلة – ويصبح العجز مقيما وعندما نضـيف إلـى ذلـك حتميـة الصراعات فيما بين هذه الكيانـات التـي قامـت بصـورة مصطنعة سواء كانت صراعات على الحدود أو مواقع النفوذ أو الزعامة أو نوع التبعية للخارج، أو منافسات فيمـا بـين أجزاء على أجزاء أخرى – ناهيك عن دور الدول الكبـرى في التلاعب من خلال هذه الصراعات، وناهيك عن طلـب النجاة بالسلطة في الإقليم ولو على حساب مصالح الإقليم ذاته أو الأمة كلها، وكل جزء عليـه أن يتـدبر أمـوره ضـمن معطياته البشرية والمادية والذاتية، فإذا بمن يملـك القـدرة البشرية فقيرا إلى المال ومن يملك المال فقيرا إلـى القـدرة البشرية، ومن يملـك الإمكانـات الاسـتراتيجية لا يملـك الإمكانات المادية والبشرية التي تسـمح لـه بالإفـادة مـن إمكاناته– أي يجب على كل شيء أن يسير عكس مـا هـو طبيعي ومعقول بالنسبة إلى أمة واحدة.

وبالإضافة إلى العنف والاستبداد والتجزئة قام الاستعمار بنشر التغريب الفكري والحضاري، وإذا كانت القوة العسكرية حققت للغرب إنزال الهزيمة العسكرية بالمستضعفين – وإذا كانت التجزئة أقامت لسيطرته أساسا موضوعيا ماديا – فإن هذا وذاك ما كانا ليجديا تماما ما لم تقع الهزيمة في العقول والنفوس والإرادة، وما لم تتجه الأفكار والثقافة والحضارة والمؤسسات داخل دولة التجزئة باتجاه تكريسها وتطلب هذا وذاك القيام بمهمة مزدوجة تعبر عن سمتين أولاهما: محاربة الإسلام وإبعاده عن العقول والنفوس والإرادة ونفيه عن الثقافة والحضارة والمؤسسات، وثانيتهما: إعادة صياغة الأفكار والثقافة والحياة الحضارية والمؤسسات على أسس غربية بحيث تصبح مدارس التفكير والفلسفة الغربية هي النماذج وهي الدليل لفكر الشعوب المستضعفة أو على الأقل بالنسبة إلى فكر قادتها وأهل الرأي فيها، وبحيث تحل قيم الحضارة الأوربية الغربية مكان القيم الحضارية الإسلامية؛ فتتغير الأخلاق والعادات، وتتغير أساليب الحياة حتى في المأكل والملبس والمسكن والتربية على أساس الأخلاق والعادات والأنماط الحياتية الغربية،

وتقوم مؤسسات دولة التجزئة وجيشها وأمنها العام وحكومتها ومدارسها وجامعاتها وأجهزة إعلامها ومختلـف وزاراتهـا ودستورها وقوانينها ومحاكمها على الأسس الغربية للدولـة الحديثة ومؤسساتها، وكذلك بالنسبة إلى المؤسسات الخاصـة الاجتماعية والتعليمية والاقتصـادية الأخـرى، وفـي هـذا المضمار نذكر قيام الاستعمار بإبعاد الشرع الحنيف واستبداله بالقوانين الغربية – إلغاء المنهاج الإسلامي مـن المـدارس والتعليم وتحطيم كبريات الجامعات الإسلامية إما بالإهمـال وإما بعدم الاعتـراف بشـهاداتها وإمـا بـدعم الجامعـات والمدارس ذات النمط الغربي – وعمـدوا إلـى الإنقـاص من قدر العلماء والمثقفين الإسلاميين إما من خلال الصـمت والتجاهل وإما من خلال التهكم على ثقافتهم باتخـاذ الثقافـة الغربية معيـارا للعلـم والثقافـة وعملـوا علـى إبعـادهم عن المراكز العامة بما في ذلك مراكـز القضـاء المـدني والتدريس وأحلوا جامعيين متغربين مكانهم يطبقون القـانون الوضعي والمناهج العلمانية، ثم سعوا إلى وضـع الأوقـاف الإسلامية والمساجد تحت سلطة الدولة المتغربة حتى تـتحكم بأرزاق العلماء والوعاظ وما تبقى مـن معاهـد إسـلامية،

كما عمدوا إلى تشويه تاريخ الأمة الإسلامية بإبراز العناصر السلبية فيه فكان ديدنهم طمس سيرة الخليفة العادل وإظهـار صورة الماجن السفاح، وحجب ذكر الإمام والعالم والقاضـي التقي المستقيم لإشهار النوادر في سير المنـافقين ووعـاظ السلاطين، وأبعدت عن الأعين صـورة المـرأة المسـلمة المجاهدة لتضخم صورة الجواري والقيان أو المرأة الحاملـة المفموعة، وغيبت الثورات الإسـلامية وحركـات الجهـاد الإسلامي، كما عمدوا إلى تصفية الهوية الإسلامية من خلال العودة بالشعوب الإسلامية إلى تاريخ ما قبل الإسلام؛ لإبراز الهوية الوثنية واعتبار الإسلام غزوا واحتلالاً وهذا ما ركـز عليه في إيران وتركيا، أما بالنسبة إلى العـرب فقـد ركـز بصورة خاصة على الهـروب مـن المرحلـة الإسـلامية في تاريخهم أو المرور بها مرورا سريعا ليركز على هويـة إقليمية تعود في جذورها إلى تلك المراحل السابقة للإسـلام: فرعونية، فينيقية، كنعانية، أشورية، بابلية؛ وبهذا تصبح الأمة كتلاً بلا هوية. ويصبح لكل قطر هويـة مزيفـة لا تنفعـه إلا وهو سائر على طريقة التجزئة والتراجع والعقم والعجز.

كما حاربوا الإسلام باستبعاد معاييره عن التداول عند بحث المشاكل أو القضايا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية فهو غير معترف به أهلاً للخوض في هذه المشاكل والقضايا، وكذلك الحال بالنسبة لدور علماء المسلمين ومفكريهم وفلاسفتهم في التاريخ فقد أهمل ذكرهم في الغالب، وطمست أعمالهم عند بحث تاريخ العلوم أو تاريخ القانون أو تاريخ العلم العسكري.

كما شنوا حملات الإرهاب الفكري ضد من يتمسك بالإسلام ويرفض التغريب والتبعية، هذا إذا لم يتعرض للتعذيب والنكال حين يكون مجاهدا بالقول والعمل ولعل من أبسط مظاهر ذلك تلك الإجراءات التي اتخذت ضد الحجاب والملتحين في تركيا مثلاً.

كما قاوموا اللغة العربية – تارة – بإبعاد الفصحى وإحلال العامية واللهجات المحلية الإقليمية مكانها، وتارة بمحاولة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، وطورا بجعل اللغات الأجنبية لغات التدريس في الجامعات فضلاً عن الحملات التي تنعت اللغة العربية بالعجز عن استيعاب العلوم وتقنيات العصر.

كما حاربوا الإسلام من داخله خصوصـا حـين كـانوا يواجهون بصحوة إسلامية واسعة فأحيانًا شجعوا الاتجاهـات التي تقدمه على صورة مشوهة تبعـد أهلـه عـن الجهـاد ومواجهة التحديات أو تلك التي تقدمه بلا حـدود أو تخـوم فتجعله على وفاق مع العلمانية والتغريب ونظرية فصل الدين عن الدولة، ووصل الأمر أحيانًا بتسويغ موالاة أهـل الكفـر والشرك أو بقبول بعض الاتجاهات بأن يسـتخدم الإسـلام في محاربة هذا الطرف ضد ذاك من الأطراف المتصـارعة في الغرب.

وإلى جانب العنف والاستبداد والتجزئة والتغريـب قـام الاستعمار بتحطيم المقومات الاقتصـادية وبنـاء الاقتصـاد التابع. ويقول الأستاذ منير شفيق في كتابه "الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر": (عندما اجتاحت جيوش الغزاة الغربيين هذه البلاد – كان هنالك نظام اقتصادي كامل تحـدر عبـر عشرات السنين له أصوله وتقاليده وقوانينـه ولـه أنظمتـه بالنسبة إلـى الملكيـة والإرث والبيـع والشـراء والتنميـة والاستثمار وغير ذلـك، وكانـت بعـض سـماته اعتمـادا على النفس واكتفاء ذاتيا وتعاونًا جماعيا واسـتعدادا للتنميـة

وتحقيق الازدهار – فجاء الغرب ليحطم كل البنى الاقتصادية القائمة – لا لأنها متخلفة كما روج بعض الموتورين ومعهـم بعض السذج وإنما لتحطيم أسس اعتماد البلاد علـى ذاتهـا اقتصاديا ووضعها على طريق التبعية – فالملكيـات العامـة التي كانت تملكها القرى والجماعـات والمشـاعات عمـل على إعادة تسجيلها لتحول إلى ملكيات إقطاعية، والصناعات التي كان تعتمد على السوق المحلية خربها حين أدخل بضائع مستوردة، وراح يتلاعب بأذواق الناس لينهي صناعة النسيج المحلية ويحطم الزراعة؛ فشدد النكير على اللباس التقليـدي، وشن الهجوم على الزراعة المتوارثة القائمة على تلبية حاجة البلاد والسوق المحلية ليجعلها زراعة أحادية الجانب لتخـدم صناعاته وحاجات سوقه العالمية – فعلى سبيل المثال القطن في مصر والعنب في الجزائر – وراحت اتجاهات التغريـب تحتقر كل ما هو اقتصادي تقليدي وإنتـاج محلـي وتصـفه بالتخلف والتأخر وتبيح تحطيمه تحت شـعار أن الاقتصـاد يجب أن يحدث ويعصر لتقوم الصناعات المتطـورة وتحـل الآلات والماكينات محل المحراث وأيدي الحرفيين، وصـفق لهذا الاتجاه أصحاب النظريات المعتمدة على الماركسية تحت

حجة أن ذلك يخلص البلاد من العقلية الفلاحيـة العشـائرية المتخلفة في الريف والحرفية والإنتاج الصغير في المدن لتبدأ رحلة إدخال أدوات الإنتاج المتطـورة وعلاقـات الإنتـاج الرأسمالية الحديثة؛ فتنشأ فـي الـبلاد طبقـة بروليتاريـة مما يسمح لاحقًا بالثورة الاشتراكية بعد إنجاز الثورة الوطنية البرجوازية.

وهكذا تضافرت كل مدارس الغرب لتحطـيم الاقتصـاد التقليدي، ووصفوه باحتقار بأنه اقتصاد الكفـاف أو اقتصـاد التخلف والانحطاط، وشجعوا كل ما هو مسـتورد غربـي، وأسهموا في تحطيم صناعة النسيج التقليدية بدلاً من أن تظل لها سوقها الواسعة وذلك من خلال شـنهم الحمـلات ضـد اللباس الشعبي التقليدي؛ مما سـاعد علـى تحطـيم فـروع من الزراعة وتربية الحيوانات التي كانت تمد تلك الصـناعة بحاجاتها وتعتمد عليها، وتحطمت الحرف وبعضـها انـدثر تقريبا، وتم التخلي عن موارد البناء المحلية، وضرب طراز البناء التقليدي، وأصبح البناء على الطراز الغربـي يحتـاج إلى استيراد أكثر مواده وآلاته الضرورية من الخارج؛ وأدى

تشجيع التغيير في نمط الحياة إلى الاعتماد تدريجيا على كل ما هو مستورد من الخارج.

وكان ذلك يدخل البلاد في خطة الاستعمار المباشر الـذي أغرق الأسواق ببضائعه لتصبح له سوقًا ينهبهـا كالمنشـار في "الطالع والنازل" كما يقول المثل وذلك عندما يستورد منها خاماتها ومنتجات الزراعة أحادية الجانب بـأبخس الأثمـان وعندما يعود عليها ببضائعه المصنعة ليبيعها بأعلى الأثمان.

أما ما هو أخطر من ذلك كله فقد قام الاقتصاد التحـديثي على أساس التجزئة التـي فرضـها الاسـتعمار – فبـدأت العلاقات الاقتصادية لكل جزء تضعف تدريجيا مع الأجـزاء الأخرى لتنمو وتقوى مع البلد الاستعماري الذي أصبح يسمى البلد الأم – وبهذا اقترن التحديث بسـمة التجزئـة؛ ليـدخل الطريق المسدود ويزيد وضع الأمة وهنًا على وهن.

إن وصف بعض السمات الاقتصادية للاستعمار – مثـل الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسـية وتصـدير رءوس الأموال واستيراد المواد الخام وإعادة اقتسام العالم فيما بـين الدول الاستعمارية لا جدوى حقيقية منه ما لم نفهـم ونقـدر خطورة السمة الأساسية وهي تحطيم المقومات الاقتصـادية

المستقلة، وبناء مقومات الاقتصاد التابع بكل ما يعنيـه ذلـك من تحطيم لأنماط الحياة الإسلامية والحضـارة الإسـلامية والأسس التي أقامها المشروع الإسلامي في تنظيم العلاقـات الاقتصادية وإحلال التغريـب الحضـاري وأنمـاط الحيـاة المتغربة والقوانين الوضعية الرأسمالية مكانها؛ ومن ثم رؤية ذلك باعتباره عملية سلبية تماما وخطوة كبرى إلـى الخلـف والتخلف، وسوف نلحظ أن الإخفاق في فهم جوهر المعركـة مع الاستعمار في المجال الاقتصادي وعدم ربطها بـالحرب الحضارية الشاملة ككل التي شـنها ضـد الأمـة قـد أدى إلى إخفاق المحاولات التـي هـدفت إلـى وقـف النهـب الاستعماري أو ضـرب الاحتكـارات، أو بكلمـة أخـرى إن إنجاز تلك المهمة المزدوجة لم ينقل البلد إلى الاسـتقلال الاقتصادي والتصنيع والازدهار ولم يرسي حتى أسسا لذلك– بل كان إرساء لأسس التبعية والإلحاق تحديـدا لاتجاهـات المستقبل ضمن هذا الإطار، وكان ثمـرة طبيعيـة للموقـف النظري الخاطئ الذي بارك عملية تحطـيم بنـى الاقتصـاد التقليدي بلا تفكر ولا تدبر، ومضى يدفع بطريق زرع بنـى اقتصادية من النمط الغربي مكانه؛ ولهذا كان الفهم المتغرب

لسمات الاستعمار والإمبريالية – أو سمات تطبيعية الصراع فهما سطحيا غير صحيح، لأنه لم يمس الجوهر، ولم يضرب بالجذور، ولم يوضع ضـمن الإطـار الشـامل للصـراع، أو بكلمة أخرى كـان فهمـا وهميـا غيـر علمـي يبنَـى على موضوعات مغلوطة؛ فتلك العملية لم تكن – كما توحي تلك الموضوعات – لتؤدي إلى إرساء أسس لتطـور لاحـق نحو مجتمع رأسمالي من الطـراز الـذي عرفـه الغـرب، ولا نحو ثورة برجوازية وطنية – وإنما كان عملية وضـع أسس لحالة قد حكمت في تطورها اللاحق بحتميـة الإيغـال في التبعية والإلحاق – وهذا ما أثبتتـه الوقـائع اللاحقـة – فعندما تظهر في تلك الحالة جوانـب ذات طـابع رأسـمالي فمن الخطأ التصور أنها بذور سوف تتطور لنظام رأسـمالي كما حدث في أوربا، الأمر الذي يفترض أن تُـرى ضـمن إطار حالة التبعية باعتبارها نمطًا اقتصـاديا خاصـا تولـد عن الحالة الاسـتعمارية والتغريـب والتجزئـة ولا يحمـل في داخله إلا اتجاها نحو المزيد مـن الارتبـاط بالخـارج والاعتماد عليه والتبعيـة لـه – أمـا نقضـه فـلا يـأتي

إلا من خارج إطاره أي من الحالة الشعبية القادرة على بنـاء نسق اقتصادي ضمن إطار حضاري مختلف جذريا.

* * *

إن التأمل العميق لتلك السمات منفردة ومجتمعة يفتـرض أن نعرف كيف نخوض حربنا الشاملة مع النظـام العـالمي الشرير – فإدراك سمة العنف يفترض أن تعد الأمة عـدتها وتتهيأ لمواجهة هذا العنف ولا يتأتى ذلـك إلا "بالجهـاد" أي تعبئة كل البشر للقتال الشعبي المستمر طويل المدى، الإنسان المجاهد في مواجهة الجيوش الغربية المنظمة، وإدراك سمة التجزئة وتكريس دول التجزئة ومؤسساتها يفترض أن يتجـه المسار اتجاها وحدويا لا اتجاها يحفر في الأخاديد نفسها التي حفرهـا الاسـتعمار، وإدراك عمليـة التغريـب وأهـدافها ووسائلها، يفترض ألا يكون المسار إيغـالاً فـي التغريـب ومزيدا من هجوم الإسلام، وكذلك الأمر في فهم سمة تحطيم البنى والمقومات الاقتصادية الأصلية التي قامت في بلادنـا وإحلال بنى ومقومات اقتصادية متغربة تقوم علـى أسـاس التجزئة وتتجه إلى مزيد من الإلحاق والتبعية؛ مما يفتـرض وقف الانجراف وراء هذا التيار بل إلى بناء اقتصاد مسـتقل

وغير تابع ومقطوع الصلة تماما بالنظام العـالمي الشـرير ومعتمد على البنى الذاتية إنتاجا وتسويقًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد مورو

